

مقدمة

كتابة النص الدرامى، أو الدراما بين المسرح والسينما والإذاعة والتلفزيون أو كيفية الكتابة لكل مجال من هذه المجالات الأربعة؟ هذا هو موضوع الكتاب.

وبما أن المسرح سبق الفنون الأخرى - السينما والإذاعة والتلفزيون - بآلاف السنين، فأرى من واجبى أن يكون المسرح صاحب الصدارة دائماً فى أى فرع من فروع الكتاب، حيث يجب أن أتبع التسلسل التاريخى لنشأة كل من هذه الفنون، وبعد الحديث عن المسرح سيكون دور السينما حيث بدأت تظهر على مستوى العالم فى أخريات القرن الماضى وأوائل هذا القرن. ثم الإذاعة التى بدأت فى العشرينات من هذا القرن. وآخر ما ظهر من هذه الفنون هو التلفزيون، والذي ظهر فى الأربعينات..

فإذا اعتبرنا أن أسس التأليف واحدة، فمن الطبيعى عندما

يختلف الوسيط لابد أن يكون هناك أوجه اختلاف بين كل وسيط وآخر، وكذلك أوجه اتفاق. بالإضافة إلى ما يجب أن يكون موجوداً من صفات مميزة لكل وسيط.

فكيف يحاكي المسرح مشاهديه؟ وكيف تحاكي السينما مشاهديها؟ وكيف تحاكي الإذاعة مستمعيها؟ وكيف يحاكي التلفزيون - أحدث الوسائل - مشاهديه؟

هذه هي التساؤلات التي عندما أفرغ من الإجابة عليها أكون قد انتهيت من الكتاب، ولكن هل يمكن لأى إنسان تنقصه موهبة التأليف أن يكتب مسرحية لمجرد أنه قرأ هذا الكتاب؟ إن المؤلف الذى يظن أن فى وسعه أن يكتب مسرحية مثلاً وفق ما جاء فى الكتاب، ومن خلال تلك القواعد والأسس، يركب رأسه، فتلك قواعد تقليدية، وعليه هو أن يدركها، ثم يكتب من خلال أعمال عقله وليس من خلال القواعد. ثم يترك ما كتب للنقاد، عسى أن نصل إلى أساليب جديدة فى الكتابة، ومذاهب فنية وأدبية جديدة، دون التوقف على أساليب أو مذاهب معينة قد توارثناها.

فى التمهيد للكتاب سأتناول نشأة الدراما منذ العصور البدائية وحتى أرسطو، حيث قام بتعريف الدراما ونظّر لها. وذلك كمدخل عام لموضوع الكتاب.

ثم يحى موضوع الكتاب. بداية بالعناصر التى يتكون منها النص الدرامى أو التمثيلى، ويبدأ بتمهيد حول تعريف المسرحية.

والمصادر التي يستقى منها الكاتب موضوعاته، ثم أربعة أبواب:
الباب الأول: وعنوانه الحوار. وهو يتكون من أربعة فصول
هى: الحوار فى المسرح، الحوار فى السينما، الحوار فى الإذاعة، ثم
الحوار فى التلفزيون.

والباب الثانى: تحت عنوان الشخصيات، ويقع فى ثلاثة فصول:
الشخصيات فى المسرح، الشخصيات فى السينما والتلفزيون،
والشخصيات فى التمثيلية الإذاعية.

أما الباب الثالث: فعنوانه الحكمة، وهو من أربعة فصول:
الحكمة (العقدة) فى المسرح، بين الحكمة والسيناريو فى السينما، الحكمة
فى الإذاعة، وبين الحكمة والسيناريو فى التلفزيون.

أما الباب الرابع: فخصصته للموسيقى والمؤثرات الصوتية
والمناظر. وهو من أربعة فصول أيضاً: الموسيقى والمؤثرات الصوتية
والمناظر فى المسرح، ثم فى السينما، ثم الموسيقى والمؤثرات الصوتية فى
الإذاعة، والفصل الرابع والأخير حول الموسيقى والمؤثرات الصوتية
والمناظر فى التلفزيون.

فأسأل الله أن يوفقنى فيما أنا بسبيله.

والله خير موفق

عادل النادى

القاهرة فى ١٠/١٩٨٣.

تعليق

نظرة تاريخية عامة على كلمة دراما

«إن كلمة دراما مشتقة من الفعل اليوناني القديم (دراؤ) بمعنى (أعمل)، فهي تعني إذن أى عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبة المسرح^(١) فإذا نظرنا إلى كلمة «دrama» على أساس أنها عمل أو حركة أو حدث فهي محاكاة، لأن المحاكاة تشمل على العمل والحركة والحدث. وقياساً على ذلك، هل الإنسان البدائي عرف الدراما، أم أنها لم تنشأ إلا مع بدايات العصر الإغريقي؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال لابد أن نلقى نظرة سريعة على الأزمان السالفة لنبحث عن بدايات الدراما في التاريخ البشري.

(١) د. إبراهيم سكر (الدراما الإغريقية)

الناشر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة سنة ١٩٦٨، ص ٣

إن الإنسان البدائي أو إنسان ما قبل التاريخ، كان يعيش في صراع مستمر مريم مع قوى الطبيعة من حوله، وذلك من أجل الحصول على ضرورات حياته، من شيء يأكله، ومكان يأوى إليه، وشيء يستر به عورته. وقد عُرف من الإنسان البدائي أنه كان يهوى محاكاة الطبيعة، حيث كانت تلك هواية مفضلة لديه، وقد ساعده على ذلك أنه إنسان يمكن أن يقلد أصواتاً ما، وحركات ما، وإشارات ما، لأنه إنسان يحمل صفات تختلف كثيراً عما حوله من حيوانات. ولما كان الإنسان المتحضر في الزمن الحاضر - الحديث - يعبر عن انفعالاته المفرحة والمحزنة أيضاً بطريقة غريزية بواسطة أفعال عملية، فمن الطبيعي أن يكون الإنسان البدائي بالرغم من قلة محصوله من أوليات الكلمات الأساسية، قد عبر عن الانفعالات نفسها بالفرحة أو بالحزن بطريقة لا تختلف كثيراً عن إنسان العصر الحديث، إذا أخضعناها لقانون التطور. وقد أورد أرسطو نفسه في كتابه فن الشعر، «إن المحاكاة أمر فطري موجود للناس منذ الصغر، والإنسان يفترق عن سائر الأحياء بأنه أكثرها محاكاة، وأنه يتعلم أول ما يتعلم بطريقة المحاكاة»^(١).

ومن البديهي جداً أن تكون الحركة الموزونة هي إحدى الوسائل الشائعة في التعبير عن اشتياق مشاعره في ذلك الحين، ويرجع ذلك

(١) أرسطو طاليس (فن الشعر) ترجمة: د. شكري عياد.

الناسخ: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧، ص ٣٦

إلى أن الطبيعة نفسها من حوله هي التي أوحى إليه بذلك، فقد رأى الطبيعة تتحرك حركات إيقاعية، متمثلة في حركات الأمواج المائية، وتوججات الحقول تداعبها الرياح، وظاهرة شروق الشمس وغروبها، ثم ظهور القمر واختفاؤه في نظام ثابت، حتى دقات قلبه كانت وما تزال تحمل سمة الإيقاع^(١)، فكان من الطبيعي أن يدفع ذلك بالإنسان البدائي ليخلق الحركة ويعبر عما يخامره من فرح وبهجة، ومن هنا يكون الرقص هو وسيلة التعبير الأولى في فن الرجل البدائي. ذلك الرقص الذي «يحاكي الخلق والانفعال والفعل بوساطة الأوزان الحركية»^(٢).

وكان على الإنسان البدائي أن يصارع الطبيعة من أجل البقاء، فكان لابد أن يجد طعام يومه، فكان يخرج ليصطاد الحيوانات، وعندما يعود بعد اغتنام فريسته فرحاً، يبدأ في محاكاة ما فعله مع الحيوان حتى اقتنصه وعاد به ظافراً، بحركات صامتة، أليست محاكاته الصامتة هذه تمثيلاً صامتاً؟ محاكاته لمن يشاهدونه، ومحاكاته لطريقة صيده لهذا الحيوان، أليس في هذه المحاكاة صورة مبسطة للدراما؟ بالطبع تعتبر هذه المحاكاة - لدى الإنسان البدائي - بداية

(١) شيلدون تشي (تاريخ انصرح في ثلاثة آلاف سنة) ترجمة: دبرني خشيبة، الناشر: مؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (د ت) ص ١١.

(٢) كتاب (فن الشعر) ص ٣٦.

لنشأة الدراما، ولكن في صورة مبسطة، حيث إن عناصر الدراما لم نكتمل بعد آنذاك. صحيح إن المسرح الإغريقى قد نَظَرَ للدراما وروضع لها أسسها، ولكن ليس معنى ذلك أن الدراما بدأت مع بدايات المسرح الإغريقى!! فقد سبق المسرح الإغريقى بقرون عديدة المسرح الفرعونى. صحيح أنه لم ينتشر مثل المسرح الإغريقى لأنه كان سرّاً من أسرار المعبد والكهنة، لكن الوثائق التاريخية والتسلسل المنطقى للتاريخ يؤكدان ذلك.

ولكن، أيضاً ليس المسرح الفرعونى هو البداية الأولى للدراما. فالدراما مرتبطة بالإنسان، والإنسان مرتبط بالأرض منذ هبوط آدم - عليه السلام - من الجنة، فلا بد أن تكون الدراما مرتبطة بالإنسان منذ هذا الوقت حتى الآن، إذن فمن الطبيعى ومن المعقول أن تكون الدراما قد نشأت مع نشأة الإنسان على الأرض.

فإذا كان الإنسان البدائى قد صارع قوى الطبيعة من حوله، يضارع الليل والنهار، الصيف والشتاء، الخير والشر، الحياة والموت، المطر والقحط، يضارع كل تلك العناصر، التى تمثل بالنسبة له القوى المسيطرة على حياته، وبعد أن لجأ الإنسان البدائى إلى الحركة والمحاكاة، وبدأ يعبر عن رغباته بالرقص والتشيل الإيمائى نصامت، كان يدرك أن تلك القوى - الطبيعية بعناصرها - هى التى سيطر عليه، وهى التى يمكن أن تحقق رغباته، فدفعه ذلك إلى أن

يرقص لها ليعبر عما يطلبه منها، وقلد حركاتها وأصواتها، لكي يتوافق مع تلك القوى، عسى أن تتحقق رغباته. وعلى سبيل المثال، هناك رقصة المطر «فالقبييلة في حاجة إلى المطر الذي يجعل المحصولات تنمو، لكي تحصل على طعام أكثر، ولهذا يكون الرقص ملجأها الأول إلى الآلهة التي تستطيع أن تفيض عليها بكل البركات، إن المطر يجب أن ينهمر ومن ثمة ترقص القبيلة رقصة المطر، ولا تكاد تفعل حتى تتجمع السحب، ويبرق البرق، ويدوى الرعد، وأخيرا ينهال المطر، فما أبدع هذا كله لوحة السعادة.... لأن السماء لا تستطيع أن تمنح نعمة أثنى من نعمة الماء»^(١).

وهكذا نجد الإنسان البدائي قد ربط بين الأمطار وخروج النباتات من الأرض، وأن في ذلك ضمانا لبقائه حياً على الأرض، إنه لم يفعل ذلك إلا لأنه راقب قوانين الطبيعة من حوله جيداً، فخيرها واستطاع أن يقهرها، وقهره لها جعله يستمر في محاكاته لهذه القوى الغيبية بالنسبة له.

ومن خلال ذلك نجد أن الطبيعة نفسها هي التي دفعت الإنسان البدائي إلى أن يحاكيها، ومن خلال ذلك نجد أن الدراما كانت تلازم الإنسان البدائي ولكن في صورة مبسطة جداً.

(١) كتاب (تاريخ المرح في ثلاثة آلاف سنة) ص ١٦.

فإذا اتفقنا جميعاً وأطلقنا كلمة «دراما» على عنصرى الفعل والتقليد عند الإنسان البدائي، فكيف تطور مدلول تلك الكلمة إلى أن وصل حالها إلى العصر الإغريقي، عصر أرسطو طاليس؟

فبعد أن كان الإنسان البدائي يحاكي ما حوله من قوى الطبيعة، هل استمر في ذلك وحده؟ أى هل استمر يحاكي تلك القوى؟ طبعاً لا. فقد ظهر بعد ذلك في تلك الفترة - آنذاك - شخص يجمع بين عدة صفات، بين صفات العالم والمنظم الاجتماعى لأفراد القبيلة وصفات الكاهن في وقت واحد، فماذا كان دور هذه الشخصية؟ لقد كان «هزة الوصل بين القبيلة أو المجموعة وبين هذه القوى الطبيعية، كان.... يقود حركات المجموعات الراقصة أو حركاتهم التمثيلية الصامتة ويصممها في البداية، لأن تنفيذها أصبح يحتاج إلى عقلية منظمة بعد أن أخذت الشعائر تأخذ شكلاً رمزياً أكثر تعقيداً من ذى قبل. وبطبيعة الحال، أصبح مثل هذا الشخص يتمتع أكثر من غيره بموهبة الخلق، فهو يخلق الأدوات والمناظر اللازمة للتنفيذ - على بساطتها - فضلاً عن التصميم الأول للرقصة، أو الحركات الصامتة (مايم)»^(١).

وبعد ذلك أخذت تلك الشخصية صورة الكاهن الذى يعلم أفراد

(١) د. سمير سرحان (البدايات الأولى لتاريخ الدراما) مقال بمجلة المسرح، العدد الثالث

سربناير ١٩٦٥م، ص ٦٣، ٦٤.

القبيلة أول مبادئ الشعائر والصلاة عن طريق الرقص، لكي يحثوا الآلهة التي تمثل قوى الطبيعة المختلفة على خدمة الإنسان.

وتبعاً لقانون التطور، أصبح الكاهن أو رئيس القبيلة هو المحور الأساسي، أو مركز الثقل في الشعائر التي كانت تقام، والتي هي بمثابة بذور الدراما، وكان الكاهن أو رئيس القبيلة رمزاً للقوة والسيطرة ليس في حياته فقط، بل وبعد مماته أيضاً، لأنهم كانوا يعتقدون له الشعائر الجنائزية لكي يرضوا روحه ويتقربوا منها.

ويوجد هذه الشخصية الجديدة دخل عنصر الموت في التعبير الدرامي للرجل البدائي.

وهكذا أيضاً نجد عنصراً من العناصر اللازمة للتراجيديا، فالموت والتعبير عنه قد وجدا آنذاك، وأصبحت خشبة المسرح عندهم هي المقبرة، والممثلون يلعبون أدوار أشباح الموتي أو أرواحهم حول تلك المقبرة^(١).

والحيوان كان صورة من صور عبادة القوى الطبيعية، وكان الحيوان يعتبر تجسماً لوحدة القبيلة وأرواح السلف، وقد تعودت كل قبيلة أن تضحي بحيوان ما، (ثور، أو حصان، أو جدى)، وكانوا تشاركون في ذبحه وأكل لحمه وشرب دمه، ويعتبر ذلك مظهراً من

١. انظر المرجع السابق ص ٦٣، ٦٤.

مظاهر الوحدة، وكانوا يعتبرون ذبح الحيوان المقدس شيئاً خطيراً. وكان عليهم أن يعيدوا الحيوان إلى الحياة، ولكن بطريقة رمزية، فكان الكاهن أو رئيس القبيلة يرتدى جلد الحيوان المذبوح ويرقص به، وبذلك يعتقدون أن الحيوان لا يزال على قيد الحياة، وأنه لا يمكن أن يموت.

وكانوا كلما وصل شاب من الشباب لمرحلة البلوغ، وزاد عدد البالغين واحداً أقاموا له شعائر تدشين، وكانت تقوم أيضاً على الرقص والحركات الصامتة التمثيلية، احتفالاً بتدشين شاب جديد وموته كمراهق، كما كانوا يقيمون هذه الشعائر أيضاً كنوع من أنواع التعليم والتثقيف والتحذير من خلال فكرهم البدائي - فكانت بعض الشعائر تقام لحض الشاب على التمسك بتقاليد القبيلة، والتحذير من خرقها، مثل النهي عن القتل والسرقة وما شابه ذلك، لأن في ذلك هلاك له ولأفراد القبيلة، أليس ذلك صورة من صور الصراع؟

وبذلك نجد أن التعبير الدرامي عند الإنسان البدائي بدأت دائرته تتسع، فيعد أن كانت الدراما عنده لا تعتمد إلا على عنصرى الفعل والتقليد، دخل عنصر الصراع. وبذلك أصبح الكاتب المسرحي الأول يصور المعركة بين الحياة والموت، بين البقاء والزوال، وبين الخير والشر،

ولكن إذا اعتبرنا أن عناصر التقليد والفعل والصراع -
الموجودين عند الإنسان البدائي من عناصر الدراما، فهل هذه هي
العناصر المطلوبة فقط؟ بالطبع أيضاً لا. فما زال هناك عنصر مفقود،
وهو الحبكة تجاوزا أو القصة، فهل كانت القصة موجودة في محاكاة
الإنسان البدائي؟ فإذا كانت موجودة، فهل معنى ذلك أن الإنسان
البدائي قد عرف المسرحية؟ أى هل المسرحية قد وجدت بداياتها
مع البدايات الأولى لحياة الإنسان البدائي. هل ما قدمه الإنسان
كان يحمل طابع القصة؟

إن الذى كان يفعله الإنسان البدائي بعد أن يصطاد حيواناً ما
- مثلاً - ويعود فرحاً به إلى أفراد قبيلته، كان يحاكي أفراد القبيلة
- كما علمنا سلفاً - كيف طارد هذا الحيوان إلى أن استطاع أن
يقهره ويصطاده. أليست هذه بدايات للقصة؟ برغم كونها لا تحتوى
على أسس وقواعد القصة المتعارف عليها. وعندما كان يقاتل عدواً
مثلاً من أعدائه - سواء أعداؤه شخصياً أو أعداء قبيلته - فكان
بعد ذلك أيضاً يحاكي من حوله كيفية تغلبه على هذا العدو، أليست
هذه هي القصة عند الإنسان البدائي؟ ولكنها بالطبع ليست القصة
التي تعارف عليها أهل هذا النوع من الأدب في العصر الحديث، بما
تتضمنه من أسس وقواعد، بعد أن مرت بمراحل التطور المختلفة،
إلى أن اصطلح عليها المختصون في هذا المجال.

إذن فالإنسان البدائي عرف أيضاً القصة ولكن في صورة مسطحة جداً. ثم رويداً رويداً بدأ مجال التعبير الدرامي يتسع شيئاً فشيئاً. فدخل الإله، والإنسان الذى يرتفع إلى مصاف الآلهة هذا المجال. ومن ثم ظهرت المسرحيات التى تحمل الطابع الدينى، وما أطلق عليها بعد ذلك اسم المسرحيات الدينية المحجبة^(١)، أو (مسرحيات الآلام)^(٢). وقد نشأت هذه المسرحيات في مصر الفرعونية، حيث كانت الحضارة المصرية متقدمة جداً عن أى حضارة أخرى في جميع أنحاء العالم ويبدو ذلك واضحاً في (أسطورة إيزيس وأوزوريس)^(٣). تلك الأسطورة التى قدمت الصراع بين الخير والشر المثل في أوزوريس وأخيه ست.

وكانت المسرحية يتم تمثيلها في مصر الفرعونية لتمجيد أوزوريس، وكانوا يقدمون كل التفاصيل عن كيفية موت الإله أوزوريس، وتدبهم عليه، ثم عثورهم على أشلاء جسده، ثم إعادته للحياة، ثم تنصيبه ملكاً للعالم السفلى، وما إلى ذلك من تفاصيل.

(١) أنين ديوتون (المرح المصري القديم) ترجمة: د. ثروت عكاشة.

الناشر: دار الكتاب العرب للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٧م ص. ٣.

(٢) كتاب (تاريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة) ص ٣٤.

(٣) أسطورة «إيزيس وأوزوريس» انظر: كتاب المسرح المصري القديم كتاب أساطير

فرعونية - كتاب تاريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة من ص ٢٤ إلى ص ٣٧ - مسرحية

(انتصار حورس) مسرحية من المسرح المصري القديم.

وكذلك كان الحال في سوريا مع أسطورة «تموز»^(١) إله الماء والمحاصيل.

وبتمثيل قصتي أو أسطورتى (إيزيس وأوزوريس) في مصر، و(تموز) في سوريا، خطت الدراما خطوات واسعة إلى الأمام، ففى إيزيس وأوزوريس نجد أن المصريين القدماء قد استخدموا القارب كإكسوار، وهو القارب الذى هاجم فيه الأعداء أوزوريس، بل وتدل الدراسات على أن قدماء المصريين أول من استخدموا المنظر فى أساطيرهم - المتمثل فى منظر السماء - وكانوا يضعونه فوق المدخل الحجرى الأسرار داخل المعبد الذى تقدم فيه الطقوس الدينية والعروض المسرحية آنذاك^(٢). هكذا نجد أن الأسطورة دخلت مجال التعبير الدرامى.

ولكن وبالرغم من كل ما مضى، أى بالرغم من وجود التقليد والفعل والصراع والقصة، كانت الدراما فى احتياج شديد إلى عنصرين مهمين بدرجة كبيرة حتى يكتمل معناها الحقيقى، هذان العنصران لم يظهرأ، لا فى العصور البدائية، ولا فى مصر الفرعونية،

(١) د. سمير سرحان (البيانات الأولى لتاريخ الدراما) مقال بمجلة المسرح العدد الثالث

عشر، يناير ١٩٦٥ ص ٦٥.

(٢) إلهامى حسن (تاريخ تطور مسرح) من محاضرة عن المسرح الفرعونى بتاريخ

١٩٧٥/١١/٢٣ لطلبة السنة الثانية القسم العام بالمعهد العالى للفنون المسرحية بالهرم

ولا في سوريا، بل ولا في المسرح الشرقي القديم، في الهند أو الصين أو اليابان^(١). بل لم تشاهد بداياتها إلا في اليونان القديم، وهما عنصرا الحوار والبطل الإنسان.

وبتطور الدراما بدخول هذين العنصرين، وصلت الدراما إلى صورتها المتكاملة عند اليونانيين القدماء، فهم أول من أدخلوا الإنسان أو البطل الآدمي في العمل الدرامي، لكي يصارع الآلهة أو القوى الطبيعية المحيطة به، وكذلك هم أول من استخدموا الحوار كأداة مخاطب في الدراما.

كانت هذه نظرة عامة وسريعة على الدراما ونشأتها من العصور البدائية حتى وصلت إلى العصر الإغريقي، عصر أرسطو، الذي كتب كتابه الكبير العظيم (فن الشعر)، الذي استخلص فيه آراءه واجتهاداته، من خلال مشاهداته لأعمال الكتاب العظام الذين عاصروهم، من خلال القليل المنشور فإن أرسطو يعتبر فاتحاً لعصر جديد في الحضارة الإغريقية، ويعتبر موسوعة إغريقية، لأنه كتب في كل شيء، فهو فيلسوف تأثر بما حوله، ويتنازع عقلية فريدة في التصنيف.

وأوضحت آراء أرسطو في كتابه (فن الشعر) بمثابة قوانين للدراما

(١) انظر كتاب المسرح في الشرق - كتاب المسرح الياباني - كتاب فن المسرحية من خلال تجاربه التخفية.

على مر العصور، برغم ما لاقت من هجوم بعض الذين أخطئوا تحليلها وشرحها وفهمها، وكانت في الوقت نفسه، متأراً ينير الطريق للبعض الآخر. وفي أحيان أخرى كانت ولا تزال تثير الجدل والنقاش حول صحتها أو عدم صحتها. ولكن يجب ألا ننسى أبداً أن هذه آراء واجتهادات شخصية - كما ذكرت - استخلصها أرسطو من خلال الحركة الأدبية والفنية التي كان يعيش وسطها في عصره، فلا يجب أن نطبق آراءه تطبيقاً أعمى، ولا يجب أن نضرب بها عرض الحائط. بل من الواجب علينا أن ندرسها ونتفهمها جيداً، ثم نقبل ما نقبله منها، ونرفض ما نشاء، ولكن من خلال وعي ودراسة حتى يأتى الجديد دائماً إضافة للتقديم وليس لمجرد أن يكون جديداً.